مدارس المصريين القدماء

للعلّامة ايبرس الجرماني[1]

ان الهيكل الذي وقف باكر في دارهِ منتظرًا الجرّاح اسمهُ بيت ستي[2] وهو اكبر هيكل في مدينة الاموات ولا يفوقهُ الاَّ هيكل تتمس الثالث الذي نصب امنوفس امامهُ التمثالين العظيمين المشهورين[3]. وقد بناهُ رعمسيس الاول بعد تولّيهِ عرش المملكة المصرية وأنشأ فيهِ ابنهُ ستي الابنية التي تقام فيها الصلاة عن اموات العائلة الملكية الجديدة وتعيَّد فيها الاعياد لآلهة العالم السفلي. وانفق عليهِ وعلى كهنتهِ والمدارس التابعة لهُ اموالاً جزيلة وجعلهُ على نسق بيوت العلم التي في منف ومدينة الشمس (المطرية) قاعدتَي مصر السفلى. وافرغ جهدهُ في جعل ثيبة قاعدة مصر العليا تفوق قاعدتَي مصر السفلى في العلم والفلسفة

واعظم مباني هذا الهيكل المدارس وهي تنقسم الى ثلاثة اقسام[4] الاول المدرسة العليا لتعليم الكهنة والاطباء والقضاة والحسّاب الفلكيين واللغويين وغيرهم من رجال العلم. والذين يتعلمون في هذه المدارس يسوغ لهم ان ينتظموا في سلك الكتبة وحينئذٍ يجري الملك عليهم الارزاق الواسعة فينقطعون الى

(١) وهو فصل من رواية تاريخيّة ادبيّة غراميّة تطبع الآن في مطبعة المقتطف وقد ادرجنا لها اعلانًا في صدر هذا الجزء فليراجع

(٢) لم تزل خرائبهُ الى الآن قبالة لقصر وكرنك في مكان يقال له جرنة

(٣) هما التمثالان العظيمان اللذان كان ينبعث من احدهما صوت عند شروق الشمس

(٤) كل تفاصيل الوصف التالي مأخوذة عن الآثار الباقية من ايام رعمسيس الثاني وخلفائهِ

الدرس والبحث في اسرار العلوم من غير ان يهتموا بامر المعيشة ويعاشرون زملاءهم المشتغلين اشغالهم

الثاني المكتبة وهي بناء عظيم فيهِ الوف من الدروج ومعمل لعمل القرطاس من البردي . وكانت ابواب هذه المكتبة مفتوحة للعلماء دائمًا

الثالث المدارس البسيطة او التجهيزية وهي لجميع اولاد الرعايا وفيها مئات منهم وكانت تقدّم لبعضهم اماكن للنوم ولكن كان يُطلَب من والديهم اما ان يدفعوا ثمن طعامهم او يرسلوا لهم الطعام اسبوعًا اسبوعًا

وهناك بناء خاصٌّ باولاد الملوك والعظماء الذين كانوا تحت عناية الكهّان وكانت تُنفَق عليهم النفقات الطائلة . والملك ستي مؤسّس هذه المدرسة علّم كل اولادهِ فيها وفي جملتهم رعمسيس الثاني وليُّ عهدهِ وهو الملك المالك حينئذٍ

وكانت القوانين صارمة جدًّا في المدارس البسيطة والمذنبون من الاولاد يقاصُّون بالضرب . وعلى مَن يطلب الارتقاء من المدارس البسيطة الى المدرسة العليا ان يمتحَن امتحانًا مدقّقًا فاذا جاز الامتحان دخل المدرسة العليا وحقَّ لهُ ان يختار واحدًا من اساتذتها ليكون مهذّبًا لهُ ومرشدًا كل ايامهِ ويمكنهُ ان يتأهّل في هذه المدرسة لمعاطاة اعظم مهام الحياة بعد ان يُمتحَن امتحانًا آخر

وبالقرب من هذه المدارس العلميّة مدرسة صناعيّة يتعلّم فيها التلامذة فن البناء والنحت والتصوير وكلٌّ منهم مخيَّرٌ في اختيار استاذهِ

وكل اساتذة هذه المدارس من كهّان هيكل ستي فكان فيهِ اكثر من ثماني مئة كاهن وهم مقسومون الى خمس فرق ويترأّس عليهم ثلاثة انبياء والنبيُّ الاول بينهم هو الحبر الاعظم في هيكل ستي ورئيس الالوف الكثيرة من كهّان الآلهة

المختصة بمدينة ثيبة

وهيكل ستي نفسهُ بناءٌ فخيم من الحجر الكلسي والداخل اليهِ من النيل يمرُّ اولاً بين صفَّين من التماثيل التي لها بدن الاسد وهي رابضة على جانبي الطريق فيصل الى برجين عظيمين قائمين على جانبي الباب الخارجي وهما كهرمين مقطوعين من رأسيهما. وداخل الباب دار فسيحة لها رواق على جانبيها وفي اخرها قبالة الباب الاول باب ثانٍ على جانبيهِ برجان عظيمان ايضاً مثل البرجين الاولين ويُدخَل من هذا الباب الى دار فسيحة محاطة من داخلها برواق رفيع العمد والطرف الابعد منهُ عمدهُ فخيمة جدًّا وهي جانب من الهيكل نفسهِ. والقسم الداخلي من الهيكل منارٌ بقليل من القناديل

ووراء الهيكل ابنية من اللبن مشيَّدة بالشيد الابيض وهي على جانب من البهاء لان جدرانها مزدانة بالصور والكتابات الهيروغليفيَّة. والابنية كلها على نسق واحد ففي كل بناء منها دار فسيحة مكشوفة وحواليها غرف الكهنة والفلاسفة وامامها رواق مسقوف. وفي وسط الدار بركة وخمائل بديعة الرياحين والازهار. والدار مرصوفة بالبلاط ومفروشة بالحصر يجلس الطلبة عليها عند تلقِّي الدروس. وفوق الغرف غرف اخرى ينام فيها التلامذة

واجمل هذه الابنية بيوت رؤساء الانبياء وتمتاز عن غيرها بالاعلام المنصوبة فوقها. وهي على نحو مئة خطوة من هيكل ستي بين حديقة من الاشجار النضرة وبحيرة من الماء العذب ولهؤلاء الرؤساء بيوت اخرى في مدينة ثيبة على الجانب الشرقي تسكن فيها عيالهم ويعودون اليها عند انقضاء نوبة خدمتهم